كلمات حول نهضة المسلمين

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الثانية

١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص ب ٥٩٥١ / ١٣ شوران

البريد الإلكتروني: almojtaba@alshira zi.com

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

سورة البقرة ١٥٦

كان هذا الكتاب ماثلاً للطبع، إذ تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ ارتحال المرجع الديني الأعلى **الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي** (قدس سره) ، حيث فجع العالم الإسلامي والحوزات العلمية بفقده، وهو في عز عطائه..

لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم على آل الرسول عظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ

وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

صدق الله العلي العظيم

سورة آل عمران : الآية ١١٠

كلمة الناشر

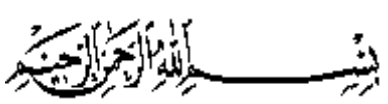

من السمات الأساسية التي تميزت بها الرسالة الإسلامية هي عالميتها وشموليتها، فقد قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلاّ كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾[1]، كما ورد عنه (ص) قوله:«أعطيت خمساً لم يعطهن نبي كان قبلي: أرسلت إلى الابيض والأسود والأحمر و...»[2] ورسالة بهذه الصفة لابد وأن تحمل معها مقومات انتشارها وديمومتها وهي كذلك، فقد استطاع النبي الكريم محمد (ص) خلال فترة وجيزة من بسط نفوذ الرحمة الإسلامية في ربوع الجزيرة العربية ومن ثم البلاد المجاورة.

وتعتبر هذه الفترة قياسية بالنسبة إلى النتائج العظيمة، والمكاسب الجلية التي حققها الرسول العظيم (ص) فيها، وقد أستمر المسلمون على هذا المنوال من نشر مبادئ الإسلام العالمية حتى استطاعوا من إيصال صوت الإسلام إلى شرق الأرض وغربها .

وأما بالنسبة إلى الأمم الأخرى فقد تقبلوا الإسلام ودخلوا فيه طواعية وبرحابة صدر، تاركين ما كانوا عليه وراء ظهورهم لما وجدوا في الدين الإسلامي من العدل والرحمة، وما يتماشى مع الفطرة الإنسانية، قال الله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين

---

(١) سورة سبأ: ٢٨.

(٢) بحار الأنوار: ج٨٩ ص١٤ ب١ ح٧.

حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾[٣]، بالإضافة إلى سمو أخلاق المسلمين الأوائل الذين حملوا أعباء نشر الرسالة الإسلامية.

ولكن المتتبع لأحوال المسلمين في يومنا هذا يجد أنهم أصبحوا متخلفين عن ركب الحضارة، فبالرغم من اتساع رقعة البلاد الإسلامية والعدد الهائل للمسلمين الذين بلغوا ملياري نسمة، ترى الجهل والتخلف ضارباً بجرانه فيهم، وقد تحكّم برقابهم أعداء الإسلام والمسلمين، وسيطر على كل بلادهم واقعاً وعلى بعض بلادهم ظاهراً، من ضرب الله عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله، فأصبحوا نهباً لغيرهم ولقمة سائغة يزدردها الظالمون، وطمع فيهم من لاعهد له بالطمع فيهم.

ولو أردنا أن نستقصي الأسباب التي أدت إلى هذه الحالة، حيث أصبح الأسياد عبيداً والعبيد سادة، فعلينا أولاً أن لاننسى السنن الكونية التي جعلها الله عزوجل نافذة في سير الأمور والتقدم، قال تعالى: ﴿ إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءً فلا مرد له ومالهم من دون الله من وال﴾ [٤] فالأمم تتبع في سيرها التكاملي قانون النمو لدى الإنسان، فتراها تشيخ وتهرم كما يشيخ ويهرم الإنسان، ولكي تحافظ على نظارتها عليها أن تعمل بقواعد السلامة الكونية..

والأمة الإسلامية حالها كحال بقية الأمم التي قصها الله علينا في القرآن الكريم كي نعتبر بها، فلا نخطئ كما أخطاؤوا من قبل فينالنا ما نالهم من بلاء وعذاب.

نعم إن السبب الأصلي لما حدث اليوم هو عدم العمل بالقوانين الإسلامية مثل: الأخوة الإسلامية، الأمة الواحدة، الشورى، الحرية، التعددية وغيرها.

---

(٣) سورة الروم: ٣٠.

(٤) سورة الرعد: ١١.

وهذه كلها قد تكلم عنها الإمام الراحل آية الله العظمى الشيرازي (قدس سره) في هذا الكتاب، وأوضحها بأسلوب واضح بسيط يفهمه كل واحد من دون لبس أو غبش، مبيناً سر عظمة الإسلام والأمة الإسلامية.

إن الإمام الراحل (قدس سره) في كتابه هذا (كلمات حول نهضة المسلمين) قد شخص الداء وأبان الدواء ووضع النقاط على الحروف، فالأمة الإسلامية إذا أرادت أن تعيد عزها من جديد عليها أن تعمل بالقوانين التي أمرها الله تعالى بها من دون محاباة أو مداهنة، فمازال الخير فيها كما قال رسول الله (ص) :« لاتزال أمتي بخير ماتحابوا وتهادوا وأدوا الأمانة واجتنبوا الحرام ووقروا الضيف وأقاموا الصلاة وآتو الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين»(٥).

وها نحن نأمل بطبع هذا الكتاب أن نساهم في نشر الوعي الإسلامي بين صفوف الأمة كي تستعيد سالف عزها وكرامتها، والحمد لله أولاً وآخراً.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص.ب: ٥٩٥١ / ١٣

(٥) وسائل الشيعة: ج١٥ص٢٥٤ب٢٣ح٢٠٤٣٤.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

أما بعد: فهذه كلمات حول نهضة المسلمين، كتبتها لينفع الله بها المسلمين، سائلاً من الله عزوجل أن يوفق الأمة لنهضة مباركة تستعيد بها عزها وكرامتها، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بالقوانين الإسلامية التي بينها القرآن الحكيم وطبقها رسول الله (ص) والإمام أمير المؤمنين(ع) في حكومتيهما الإسلامية، وما ذلك على الله بعزيز.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

١

عدم الوعي: مشكلة الشعوب

إن الانقلابات العسكرية التي رأيناها وعاصرنا أحداثها ـ منذ نصف قرن تقريباً ـ لم تكن حتى واحدة منها نابعة من ذات البلاد، بل كانت انقلابات شرقية أو غربية أو مزدوجة، وكلها أتت بالأسوأ مما قبل الانقلاب، حيث إن الاستعمار أحكم عبرها قبضته على البلاد أكثر فأكثر..

والانقلاب العسكري مهما برر له أصحابه الذين جاؤوا إلى الحكم عبر الدبابات فإنه يحدث على الأمة بدون رضاها واستشارتها.. بينما الحكم عقلاً وشرعاً يجب أن يكون مستنداً إلى اختيار الأمة، وهذا طبعاً في غير الأنبياء والأئمة(ع)، حيث إن هناك اختيار الله تعالى، وليس للإنسان الخيرة إذا قضى الله أمراً[٦]، قال تعالى: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون

---

(٦) مضافاً إلى أن النبي أو الإمام هو خليفة الله على الأرض ولا يختار خليفة الله إلا الله، بالإضافة إلى لزوم توفر شروط خاصة في النبي والإمام من العصمة والأعلمية والأورعية وما أشبه مما لا يعلم بذلك إلا الله عزوجل، فيأتي الاختيار من الله لا من غيره، وفي الحديث الشريف عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «للإمام علامات يكون أعلم الناس وأحكم الناس وأتقى الناس وأحلم الناس وأشجع الناس وأسخى الناس وأعبد الناس ويولد مختونا ويكون مطهرا ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه ولا يكون له ظل وإذا وقع على الأرض من بطن أمه وقع على راحتيه رافعا صوته بالشهادتين ولا يحتلم وتنام عينه ولا ينام قلبه ويكون محدّثا ويستوي عليه درع رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يرى له بول ولا غائط لأن الله عز وجل قد وكل الأرض بابتلاع ما يخرج منه وتكون رائحته أطيب من رائحة المسك ويكون أولى بالناس منهم بأنفسهم وأشفق عليهم من آبائهم وأمهاتهم ويكون أشد الناس تواضعا لله عز وجل ويكون آخذ الناس بما يأمر به وأكف الناس عما ينهى عنه

لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾[٨].

وقال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾[٩].

ثم انه كيف تعترف الدول بالحاكم الجديد؟

أليس ذلك لأن الغرب والشرق قسموا العالم، فإذا حدث انقلاب من أحدهما، تحت قناع الجيش وما أشبه اعترفوا به، لأنه يدور في فلكهم، ونصبوه ليحمي مصالحهم؟.

وهل يقر الشرق والغرب بأن ينصب إنسان معلماً في مدرسة ليدرس أربعين طفلاً، بدون سوابق واختبارات وما أشبه؟

ويكون دعاؤه مستجابا حتى أنه لو دعا على صخرة لانشقت بنصفين ويكون عنده سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه ذو الفقار ويكون عنده صحيفة فيها أسماء شيعته إلى يوم القيامة وصحيفة فيها أسماء أعدائه إلى يوم القيامة وتكون عنده الجامعة وهي صحيفة طولها سبعون ذراعا فيها جميع ما يحتاج إليه ولد آدم ويكون عنده الجفر الأكبر والأصغر: إهاب ماعز وإهاب كبش فيهما جميع العلوم حتى أرش الخدش وحتى الجلدة ونصف الجلدة وثلث الجلدة ويكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام». من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٤١٨-٤١٩ ومن ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله الموجزة التي لم يسبق إليها.. ح٥٩١٤.

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد ع قال: «عشر خصال من صفات الإمام: العصمة والنصوص وأن يكون أعلم الناس وأتقاهم لله وأعلمهم بكتاب الله وأن يكون صاحب الوصية الظاهرة ويكون له المعجز والدليل وتنام عينه ولا ينام قلبه ولا يكون له فيء ويرى من خلفه كما يرى من بين يديه». الخصال: ج٢ ص٤٢٨ باب العشرة ح٥.

(٧) سورة الأحزاب: ٣٦.

(٨) سورة القصص: ٦٨.

(٩) سورة النساء: ٦٥.

فإن قالوا: نعم، أجيب: بأن قوانين التعليم ـ في كل العالم ـ لا تسمح بذلك.

وإن قالوا: لا، يقال: كيف لا يسمح ذلك لمعلم أربعين طفلاً؟ ويسمح ذلك لحاكم على عشرات الملايين ـ أحياناً ـ ؟

أليس ذلك دليلاً على المؤامرة العالمية من قبل المستعمرين، ومن في فلكهما ضد شعوب العالم الثالث؟.

والمشكلة كلها لم تنشأ من الخارج، وإنما من داخل بلاد العالم الثالث (والتي منها العالم الإسلامي) وهي عدم الوعي، فلماذا يسلّم ملايين الناس أنفسهم لحفنة عسكريين، لا يتجاوزون ـ أحياناً ـ بضعة مئات، بل أقل؟

ولماذا لا يتساءل العالم نفسه: لماذا لا يحدث انقلاب عسكري في أمريكا أو بريطانيا أو فرنسا أو ما أشبه؟! بل وحتى في إسرائيل ذات الملايين القليلة؟!

هل لأن هناك لا أطماع لأعدائهم؟!

أو لأنه لا مغامرين يحبون الحكم؟!

أو أنه لوعي تلك الأمم ضد هذه الانقلابات، حتى إذا غامرت جماعة واستندت إلى مؤامرة أعدائهم، رفضتها شعوبهم، وقدموا الانقلابيين إلى المحاكم، ليحكم عليهم بمثل ما يحكم على قطاع الطرق والمجرمين؟

وستبقى هذه المشكلة، مشكلة الاستعمار المستغل، ومشكلة المغامرين المتآمرين مع الاستعمار في العالم الثالث، وستدوم إلى أن يحصل الوعي لشعوب هذا العالم، وآنذاك سوف يكون الحكم فيه تبعاً للانتخابات الحرة، وفي إطار الشروط المقبولة للحاكم (والتي منها استجماعه لشرائط الإسلام في العالم الإسلامي).

وقد عبر عن الوعي والعلم في بعض الروايات بالعقل أو الفهم مقابل الجهل، قال رسول الله (ص) : «ما قسم الله للعباد شيئاً أفضل من العقل، فنوم العاقل أفضل من سهر الجاهل، وإقامة العاقل أفضل من شخوص الجاهل، ولا بعث الله نبياً ولا رسولاً حتى يستكمل العقل، ويكون عقله أفضل من جميع عقول أمته، وما

يضمر النبي (ص) في نفسه أفضل من اجتهاد المجتهدين، وما أدى العبد فرائض الله حتى عقل عنه، ولا بلغ جميع العابدين في فضل عبادتهم ما بلغ العاقل، والعقلاء هم أولو الألباب الذين قال الله تعالى و ما يتذكر إلا أولو الألباب»[١٠].

وعن الحسن بن الجهم قال: سمعت الرضا (ع) يقول: «صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله»[١١].

وعن هشام بن الحكم قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر(ع) : «يا هشام إن الله بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فبشر عباد ۞ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[١٢].

إلى أن قال: يا هشام إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيّس لدى الحق يسير، يا بني إن الدنيا بحر عميق، قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيّمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر، يا هشام إن لكل شيء دليلاً ودليل العقل التفكر ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مطيةً ومطية العقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه.

إلى أن قال: يا هشام إن لله على الناس حجتين حجةً ظاهرةً وحجةً باطنةً، فأما الظاهرة: فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول.

إلى أن قال: يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك، وأطعت هواك على غلبة عقلك، يا هشام إن العاقل رضي بالدون من الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم،

---

(١٠) الكافي: ج١ ص١٢ كتاب العقل والجهل ح١١.

(١١) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٠٥ ب٨ ح٢٠٢٨٩.

(١٢) سورة الزمر: ١٧-١٨.

إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب؟ وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض»[١٣].

(١٣) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٢٠٦ ب٨ ح٢٠٢٩١.

٢

الجرائم وكثرتها

من مشاكل العالم الثالث: كثرة الجرائم، ويلزم السعي الجاد لحلها.

فالجريمة على ما قالوا في تعريفها: هي الخروج عن المبادئ وقواعد السلوك التي يحددها ويرسمها المجتمع لأفراده.

ولكن التعريف الشرعي للجريمة: هي مخالفة القوانين الإسلامية التي ألزم الله بها عباده فعلاً أو تركاً مما يعبر عنه بالواجبات والمحرمات، وعلى ذلك تكون النسبة المنطقية بين الجرم الشرعي وبين الجرم القانوني أو العرفي: عموم من وجه حسب المصطلح.

والجريمة هي من الوقائع الاجتماعية التي لا تخلو المجتمعات البشرية منها ولو بنسبة أو بأخرى، وذلك منذ أقدم عصورها، ولقد عانت منها الإنسانية على مر الأجيال، ولما جاء الإسلام أخذ بحل هذه المشكلة من جذورها، فأصبحت الجريمة في المجتمع الإسلامي نادراً أو أقل من النادر.

ولكن اليوم بعد ما تركت الأمة العمل بالإسلام، انتشرت الجرائم بمختلف أنواعها في البلاد.

من أسباب الجريمة

إن الجريمة وكثرتها تابعة لأمور، منها ما يلي:

١: عدم الإيمان، وغياب الرادع الداخلي للإنسان عن الجريمة.

٢: الحرمان، مثل الفقر الموجب للمرض والجهل، ومثل العزوبة وعدم القدرة على الزواج، وما أشبه.

٣: المغريات الموجبة لسهولة ارتكاب الجريمة.

٤: تمكن الإفلات من العقاب، لما في المحاكم من الالتواءات والمنعطفات.

والجريمة ستبقى، بل ستزداد يوماً بعد يوم، ما دامت هذه العوامل باقية، سواء كثر الموظفون بُغية الردع عن الجريمة، أم لا.

فالمهم إصلاح الجذور، لا قطع الفروع، فهو كمستنقع يولّد الأمراض والجراثيم، فليس الحل تكثير الأطباء، وتوفير الأدوية، وإنما الحل علاج المستنقع.

ويميل بعض علماء النفس إلى اعتبار الجريمة سلوكاً مكتسباً يتعلمه الفرد من محيطه، ويكون إجمالاً: نتيجة لأسلوب التربية الذي يمارس عليه، ولنوع التعاطي الذي يخضع له مع الآخرين، أو يشاهده تكراراً بين الآخرين، فيشكل لديه نموذجاً مقبولاً.

ومن العوامل المؤثرة في بروز الجرائم ونسبتها: الزمان والمكان، والثقافة والتعليم.

مضافاً إلى أن فعل الجريمة كثيراً ما يرتبط بنظام القيم وبسلّم الأولويات لدى الشخص.

فمن زعم أن المال هو كل شيء في الحياة، حتى ولو حصل عليه من طرق غير شرعية، فقد يقدم على السرقة أو قتل أحد أو يتاجر بالجنس أو المخدرات أو ما أشبه من الجرائم للحصول على المال أو مزيد منه.

ومن أسباب الجريمة أيضاً ما يلي:

١: أمور وراثية بيولوجية: قالوا: إن الاختلال الذي يحصل عند تلقيح البويضة قد يكون ذا اتجاهات إجرامية، فيولد الإنسان عادة وهو يحمل روح العدائية والمشاكسة، يضاف إلى ذلك رغبتهم بالتفوق والسيطرة وما أشبه، ولا يخفى: إن هذا على نحو المقتضي لا العلية التامة فإنه لا يسلب الإنسان اختياره.

٢: التفكك الأسري: فقد أظهرت مجموعة أبحاث أعدها العلماء والأخصائيون في الأعمال الإجرامية التي قام بها المجرمون في مختلف الأعوام، أن لدى المجرمين قاسماً مشتركاً أو قواسم مشتركة عدة، من أهمها: التفكك الأسري، فإن المجرمين يكونون عادة من أبناء عائلات ممزقة، وإن أسباباً اقتصادية، مثل ارتفاع نسبة البطالة والفقر هي ذات شأن في الإجرام يفوق بكثير شأن التلفزيون والإعلام المنحرف.

٣: الأسباب النفسية: مثل إقبال الشباب على مشاهدة أفلام الحرب والعنف، وخصوصاً بالنسبة إلى المجتمعات التي عاش أبناؤها حروباً طال أمدها، أو شاهدت اقتتالاً مريراً بين شعوبها.

٤: وسائل الإعلام المنحرفة، المسموعة والمقروءة والمرئية منها، وما تنقله يومياً من برامج وبحوث وحوادث يكون للجريمة والعنف المكان الأوسع فيها.

٥: العامل الاقتصادي: من أهمها البطالة حيث يقوم الفرد العاطل عن العمل للحصول على المال بشتى الطرق ومنها الجريمة والعنف.

ولكن الإسلام حل مشكلة الجريمة جذرياً، فلا فقر ولا بطالة ولا عزوبة ولا حرمان، بل إيمان ورفاه وسلام، وبعد ذلك تواعد المجرمين بالعقاب الدنيوي والأخروي الشديد، فعن أبي حمزة: عن أحدهما (ع) قال: «أتي رسول الله (ص) فقيل له: يا رسول الله قتيل في جهينة، فقام رسول الله(ص) يمشي حتى انتهى إلى مسجدهم.

قال: وتسامع الناس فأتوه.

فقال(ص): من قتل ذا؟

قالوا: يا رسول الله ما ندري.

فقال: قتيل بين المسلمين لا يدرى من قتله! والذي بعثني بالحق لو أن أهل السماء و الأرض شركوا في دم امرئ مسلم و رضوا به، لأكبهم الله على مناخرهم في النار، أو قال: على وجوههم»[١٤].

وبالنسبة إلى مشكلة الفساد الجنسي: فقد حث الإسلام على الزواج المبكر، وجعل المؤمن كفو المؤمنة، وبارك في المهر القليل ليتزوج الجميع بكل سهولة.

وقد ورد في التفسير: «إن قوله تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة...﴾ [١٥] نزلت في زينب بنت جحش الأسدية، وكانت بنت أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله (ص) فخطبها رسول الله(ص) على مولاه زيد بن حارثة، ورأت أنه يخطبها على نفسه، فلما علمت أنه يخطبها على زيد أبت وأنكرت وقالت: أنا ابنة عمتك فلم أكن لأفعل، وكذلك قال أخوها عبد الله بن جحش فنزل: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة﴾ الآية، يعني: عبد الله وأخته زينب، فلما نزلت الآية قالت: رضيت يا رسول الله، وجعلت أمرها بيد رسول الله (ص) وكذلك أخوها، فأنكحها رسول الله (ص) زيداً: فدخل بها وساق إليها رسول الله (ص) عشرة دنانير وستين درهما مهرا وخمارا وملحفة ودرعا وإزارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر»[١٦].

وعن ابن عباس ومجاهد وقتادة: قالت زينب: خطبني عدة من قريش فبعثت أختي حمنة بنت جحش إلى رسول الله (ص) أستشيره، فأشار بزيد فغضبت أختي وقالت: أتزوج بنت عمتك مولاك؟ ثم أعلمتني فغضبت أشد من غضبها فنزلت الآية، فأرسلت إلى رسول الله (ص) فقلت: زوجني ممن شئت، فزوجني من زيد.

---

(١٤) الكافي: ج٧ ص٢٧٢ باب القتل ح٨.

(١٥) سورة الأحزاب: ٣٦.

(١٦) بحار الأنوار: ج٢٢ ص١٧٧ ب٢.

وقيل: نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وكانت وهبت نفسها للنبي (ص) فقال: قد قبلت وزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالا: إنما أردنا رسول الله (ص) فزوجنا عبده فنزلت الآية[١٧].

العنف جريمة

ولا يخفى إن العنف من مظاهر الجريمة، وقد أكد الإسلام على سياسة اللاعنف والسلم في كافة الأمور على ما فصلناه في بعض كتبنا.

(١٧) بحار الأنوار: ج٢٢ ص١٧٧ ب٢.

٣

الأنبياء وأوصياؤهم (ع) ساسة ربانيون

إن الأنبياء وخلفاءهم (ع) كانوا ساسة ربانيين مصلحين، يديرون البلاد والعباد بالعدل والقسط، ويضحون بمصالحهم بل حتى بأنفسهم من أجل مصلحة الأمة، إنهم يجوعون لكي يشبع الناس، ويفتقرون لكي يغنى الناس، ويخافون لكي يأمن الناس، وهكذا.

فقد ورد التعبير عنهم (ع) بالساسة في جملة من الروايات[١٨] كما يراها الطالب في كتب الحديث وغيرها في هذه المادة، بالإضافة إلى دلالة بعض الآيات عليه كما في قوله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾[١٩].

وقوله سبحانه: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾[٢٠].

مضافاً إلى قول رسول الله (ص): «اللهم ارحم خلفائي، قيل: يا رسول الله ومن خلفائك؟ قال: الذين يأتون من بعدي ويروون حديثي وسنتي»[٢١].

ومما تقدم ظهر أن السياسة بمعناها الصحيح الذي هو: إدارة العباد والبلاد بما يضمن لهما التقدم والرقي، والسعادة والسيادة، هي من صميم الإسلام، وان كل محاولة لفصل الدين عن السياسة، هي من قبيل محاولة فصل العبادة عن الإسلام..

---

(١٨) ورد في زيارة الجامعة لجميع الأئمة عليهم السلام: «قادة الأمم وأولياء النعم وعناصر الأبرار ودعائم الأخيار وساسة العباد وأركان البلاد...» من لا يحضره الفقيه: ج٢ ص٦٠٩ ح٣٢١٣.

(١٩) سورة البقرة: ٣٠.

(٢٠) سورة ص: ٢٦.

(٢١) من لا يحضره الفقيه: ج٤ ص٤٢٠ ومن ألفاظ رسول الله الموجزة التي لم يسبق إليها ح٥٩١٩.

وقد كان دأب الأنبياء والأئمة (ع) والعلماء الربانيين أخذ زمام السياسة بأيديهم ما استطاعوا، فان لم يتمكنوا من ذلك وجهوا الناس إلى وجوب ذلك مهما قدروا، وكانوا (ع) يرجعون الناس إلى علماء الأمة ونواب الأئمة، كقوله (ع): «فإني قد جعلته عليكم حاكماً»[٢٢].

وقوله(ع): «أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فانهم حجتي عليكم وأنا حجة الله عليهم»[٢٣] وغير ذلك.

وقد وقع الخصام بين أهل الحق من أنبياء وأئمة (ع) وفقهاء ومراجع في جهة، وبين أصحاب الأهواء من أمويين وعباسيين ومن حذى حذوهم في جهة أخرى، على التصدي لمرجعية الأمة، وأخذ زمام السياسة، وذلك منذ رحيل الرسول (ص)، فتارة حكم أهل الحق، وتارة غصب حقهم، حتى جاء دور المستعمر، فأدخل في قاموس الرأي العام عنصراً جديداً هو: عنصر (فصل الدين عن السياسة) وأشاع بواسطة عملائه (إن العالم الديني الخير هو الذي يشتغل بالعبادة والإرشاد، ولا يتدخل في شؤون السياسة)، وذلك لأنهم رأوا أن العلماء هم السد القوي أمام استعمارهم للبلاد وتسلطهم على رقاب العباد..

وأقل نظرة إلى المذكرات المعنية بهذا الشأن أمثال: (مذكرات المس بل)[٢٤] و(مذكرات كينياز دالجور كي)[٢٥] و(مذكرات مستر همفر)[٢٦] وغيرها يجلي هذه الحقيقة.

---

(٢٢) الكافي: ج١ ص٦٧ باب اختلاف الحديث ح١٠.

(٢٣) بحار الأنوار: ج٥٣ ص١٨٠ ب٣١ ح١٠.

(٢٤) الجاسوسة البريطانية في العراق.

(٢٥) الجاسوس الروسي في البلاد الإسلامية، مؤسس الفرقة البهائية.

(٢٦) الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية. وقد شجع محمد بن عبد الوهاب على تأسيس الفرقة الوهابية.

من وظائف رجل الدين

وعلى هذا، فالواجب الشرعي على رجل الدين ووظيفته الشرعية، كوجوب الصلاة والصيام، أن يهتم لتصحيح الرأي العام، حتى يعرف الناس أن السياسة من صميم الإسلام، وأن الساسة الربانيين هم الفقهاء المراجع في زمن الغيبة، فيعملوا جميعاً لإبعاد الحكام الظلمة عن الساحة الإسلامية، وليقبض زمام الأمة شورى الفقهاء المراجع فيسيروا بالأمة كما أراد الله سبحانه.

وهذا ما فعله رجال الدين والفقهاء المراجع في القرن الأخير . مع الغض عن القرون السابقة . أمثال: السيد المجاهد(٢٧).

والميرزا الكبير الشيرازي(٢٨).

والآخوند الخراساني صاحب الكفاية(٢٩).

---

(٢٧) آية الله السيد محمد المجاهد ﷺ من العلماء المجاهدين الذين حاربوا الاستعمار الروسي.

(٢٨) آية الله العظمى السيد محمد حسن الشيرازي، المشهور بالمجدد، عميد أسرة الشيرازي، ولد في ١٥ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ، هاجر إلى النجف الأشرف سنة ١٢٥٩هـ ثم إلى سامراء ١٢٩١هـ . تتلمذ عند العلماء الأعلام أمثال السيد حسن المدرس والمحقّق الكلباسي وصاحب الجواهر والشيخ الأنصاري. آلت إليه المرجعية سنة ١٢٨١هـ بعد وفاة أستاذه الشيخ الأنصاري . قارع الاستعمار البريطاني في ثورته المعروفة «التنباك» والتي أيقظت العالم الإسلامي وأعطته الوعي السياسي في تاريخه الحديث، فقد تنبه المسلمون بفضلها إلى الأخطار التي يسببها النفوذ الأجنبي في بلادهم . ووقف كذلك بوجه الفتنة الطائفية التي أحدثها ملك أفغانستان عبد الرحمن خان حيث أخذ يقتل الشيعة ويجعل من رؤوسهم منائر في كل مكان. وقد تسالم المؤرخون على وصفه : إماماً عالماً فقيها ماهراً محقّقا رئيساً دينياً عاماً وورعاً نقياً، ثاقب الفكر، بعيد النظر، مصيب الرأي، صائب الفراسة ، يوقِّر الكبير ويحنو على الصغير، ويرفق بالضعيف. وكان درسهُ عامراً بالعلماء المشتغلين النابهين، لذا كثر المقررون لدروسه وأبحاثه الفقهية والأصولية، فدّون تلامذته خمسة عشر كتاباً، كما ألّف هو ثمانية كتب. توفى ليلة الأربعاء الرابع والعشرين من شهر شعبان عام ١٣١٢هـ (شباط ١٨٩٥م) في مدينة سامراء المشرفة.

والميرزا الثاني[٣٠] وغيرهم.

فإن في ترك الأمر بيد الحكام الظلمة، هدم الإسلام كله، وإحياء الكفر والفسق كله.

قال أمير المؤمنين علي (ع): «لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها»[٣١].

وقال (ص): «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»[٣٢].

وفي الحديث عن عبد العزيز بن مسلم قال: «كنا مع مولانا الرضا (ع) بمرو

---

(٢٩) هو الشيخ ملا محمد كاظم بن ملا حسين الهروي الخراساني المعروف بالشيخ الآخوند، ولد بطوس سنة (١٢٥٥هـ)، تتلمذ على الشيخ راضي النجفي وعلى الشيخ الأنصاري والميرزا السيد محمد حسن الشيرازي، توفي في النجف الأشرف عام (١٣٢٩هـ).

(٣٠) هو الشيخ محمد تقي بن الميرزا محب علي بن أبي الحسن الميرزا محمد علي الحائري الشيرازي زعيم الثورة العراقية، ولد بشيراز عام ١٢٥٦هـ ونشأ في الحائر الشريف، فقرأ فيه الأوليات ومقدمات العلوم، وحضر على أفاضلها حتى برع وكمل، فهاجر إلى سامراء في أوائل المهاجرين، فحضر على المجدد الشيرازي حتى صار من أجلاء تلاميذه وأركان بحثه، وبعد أن توفى أستاذه الجليل تعين للخلافة بالاستحقاق والأولوية والانتخاب، فقام بالوظائف من الإفتاء والتدريس وتربية العلماء. ولم تشغله مرجعيته العظمى وأشغاله الكثيرة عن النظر في أمور الناس خاصهم وعامهم، وحسبك من أعماله الجبارة موقفه الجليل في الثورة العراقية، وإصداره تلك الفتوى العظيمة التي أقامت العراق وأقعدته لما كان لها من الوقع العظيم في النفوس. فهو ﵀ فدى استقلال العراق بنفسه وأولاده وكان أفتى من قبل بحرمة انتخاب غير المسلم. وكان العراقيون طوع إرادته لا يصدرون إلا عن رأيه وكانت اجتماعاتهم تعقد في بيته في كربلاء مرات عدة. توفي ﵀ في الثالث عشر من ذي الحجة عام (١٣٣٨هـ) مسموماً ودفن في الصحن الشريف ومقبرته فيه مشهورة.

(٣١) نهج البلاغة، الخطب: ٣ من خطبة له ﵇ وهي المعروفة بالشقشقية.

(٣٢) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٦٩ ب٤٠ ح٢١٥٣٨.

فاجتمعنا وأصحابنا في الجامع يوم الجمعة في بدء مقدمنا، فأداروا أمر الإمامة وذكروا كثرة الاختلاف فيها، فدخلت على سيدي (ع) فأعلمته خوض الناس في ذلك.

فتبسم (ع) ثم قال: «يا عبد العزيز جهل القوم وخدعوا عن آرائهم، إن الله تبارك لم يقبض نبيه (ص) حتى أكمل له الدين، فأنزل عليه القرآن فيه تفصيل كل شيء، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما يحتاج إليه الناس كملاً فقال عز وجل: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[٣٣].

وأنزل عليه في حجة الوداع وهي آخر عمره (ص): ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [٣٤] وأمر الإمامة من تمام الدين.

ولم يمض (ص) حتى بيّن لأمته معالم دينهم ووضح لهم سبيلهم وتركهم على قول الحق وأقام لهم علياً (ع) علماً وإماماً وما ترك لهم شيئاً يحتاج إليه الأمة إلا بيّنه.

فمن زعم أن الله لم يكمل دينه فقد رد كتاب الله ومن رد كتاب الله، وهو كافر به.

هل يعرفون قدر الإمامة ومحلها من الأمة فيجوز فيها اختيارهم؟ إن الإمامة أجلّ قدراً وأعظم شأناً وأعلى مكاناً وأمنع جانباً وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم، أو ينالوها بآرائهم، أو يقيموا إماماً باختيارهم.

إن الإمامة خصّ الله عز وجل بها إبراهيم الخليل (ع) بعد النبوة والخلة مرتبةً ثالثةً وفضيلةً شرفه بها وأشاد بها ذكره فقال: ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ فقال الخليل (ع) سروراً بها: ﴿ومن ذريتي﴾ قال الله تبارك وتعالى: ﴿لا ينال عهدي

---

(٣٣) سورة الأنعام: ٣٨.

(٣٤) سورة المائدة: ٣.

الظالمين﴾[٣٥].

فأبطلت هذه الآية إمامة كل ظالم إلى يوم القيامة، وصارت في الصفوة.

ثم أكرمه الله تعالى بأن جعلها في ذريته أهل الصفوة والطهارة فقال: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلةً وكلا جعلنا صالحين۞ وجعلناهم أئمةً يهدون بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾[٣٦].

فلم تزل في ذريته يرثها بعض عن بعض قرناً فقرناً حتى ورثها النبي (ص) فقال عزوجل: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾[٣٧].

فكانت له خاصةً فقلدها (ص) علياً (ع) بأمر الله عز اسمه على رسم ما فرضه الله، فصارت في ذريته الأصفياء الذين آتاهم الله العلم والإيمان بقوله عزوجل: ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ [٣٨] فهي في ولد علي (ع) خاصةً إلى يوم القيامة، إذ لا نبي بعد محمد (ص) فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟.

إن الإمامة هي منزلة الأنبياء وإرث الأوصياء.

إن الإمامة خلافة الله وخلافة الرسول (ص) ومقام أمير المؤمنين(ع) وميراث الحسن والحسين ﷺ.

إن الإمامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين.

إن الإمامة أس الإسلام النامي وفرعه السامي.

بالإمام تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد وتوفير الفيء والصدقات

---

(٣٥) سورة البقرة: ١٢٤.

(٣٦) سورة الأنبياء: ٧٢-٧٣.

(٣٧) سورة آل عمران: ٦٨.

(٣٨) سورة الروم: ٥٦.

وإمضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف.

الإمام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة والحجة البالغة.

الإمام كالشمس الطالعة المجللة بنورها للعالم وهي في الأفق بحيث لا تنالها الأيدي والأبصار.

الإمام البدر المنير والسراج الزاهر والنور الساطع والنجم الهادي في غياهب الدجى وأجواز البلدان والقفار ولجج البحار.

الإمام الماء العذب على الظمأ، والدال على الهدى والمنجى من الردى.

الإمام النار على اليفاع الحار لمن اصطلى به والدليل في المهالك من فارقه فهالك.

الإمام السحاب الماطر والغيث الهاطل والشمس المضيئة والسماء الظليلة والأرض البسيطة والعين الغزيرة والغدير والروضة.

الإمام الأنيس الرفيق والوالد الشفيق والأخ الشقيق والأم البرة بالولد الصغير ومفزع العباد في الداهية النآد.

الإمام أمين الله في خلقه وحجته على عباده وخليفته في بلاده والداعي إلى الله والذاب عن حرم الله.

الإمام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدين وعز المسلمين وغيظ المنافقين وبوار الكافرين.

الإمام واحد دهره لا يدانيه أحد ولا يعادله عالم ولا يوجد منه بدل ولا له مثل ولا نظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولا اكتساب، بل اختصاص من المفضل الوهاب» الحديث[٣٩].

---

(٣٩) راجع غيبة النعماني: ص٢١٦ ب١٣ ح٦.

٤

كيف يمكن إنقاذ المسلمين؟

أما انه كيف يمكن إنقاذ المسلمين؟

الظاهر: إنه لا يمكن ذلك إلاّ بإيجاد حكومة عالمية واحدة لهم، وتكون بالاختيار الحر لرئيسها المرضي لله تعالى، مبتنية على الحريات الإسلامية والشورى والتعددية، وتكون الأحكام إسلامية بحتة لا مستوردة من الغرب أو الشرق، ليعيش المسلمون تحت ظلها في أمن ورفاه، وسيادة وسعادة، وتقدم وازدهار.

ومن مقومات هذه الحكومة الأمور التالية:

١: التنظيم الإسلامي العالمي، سواء في بلاد الإسلام أم غيرها، وذلك بعد نشر ثقافة التنظيم والتعددية التي أرادها الإسلام وأمر بها، ولعل ما يحتاج إليه من التنظيم، في إقامة مثل هذه الحكومة، هو عشرون مليون منظم، يدخل فيه مختلف الأحزاب والتنظيمات الإسلامية، كأجنحة عاملة لأجل ذلك الهدف السامي المتفق عليه.

٢: التوعية الإسلامية العالمية، توعية سياسية اقتصادية اجتماعية إسلامية شاملة (إيجاباً)، وضد الاستعمار والتجزئة عالمية عامة (سلباً).

٣: السلم في الحركة ونبذ العنف بكل أشكاله ووسائله، حتى يمكن الأخذ بالزمام، قال سبحانه: ﴿ادخلوا في السلم كافة﴾[٤٠]، وقال تعالى: ﴿كفوا أيديكم

(٤٠) سورة البقرة: ٢٠٨.

وأقيموا الصلاة﴾ [٤١].

٤: الجماهيرية، بأن لا يصبح التنظيم صنماً، وإلا فان ذلك يسوقه نحو السقوط.

٥: الاستغناء عن البضائع والأفكار الشرقية والغربية المستوردة، كل ذلك وإن طالت المدة، والله الموفق المستعان.

العفو والتسامح من أركان الإنقاذ

ومن أهم القواعد الإسلامية والتي لها الدور الكبير في إنقاذ الأمة هي قاعدة العفو والتسامح، فقد عاهد رسول الله (ص) في المدينة المنورة اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام، وكفل لهم التمتع بما للمسلمين من الحقوق ما وفوا بالعهد ولم يقدموا على الغدر والخيانة بالمسلمين.

وقد كان الرسول الكريم (ص) يرفق باليهود ولم يحاربهم إلا بعد ما نقضوا عهده وبدؤوا بمحاربته، فلما كان (ص) ينتصر عليهم كان لايعاقبهم إلا بمقدار ما يكف أيديهم عنه، وكان يحكّم فيهم من يختارونه بأنفسهم، كما نجد ذلك في تعامله مع يهود بني قينقاع، ويهود بني النضير، حيث تآمروا مع قريش ضد المسلمين، ونقضوا العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله (ص).

وفي غزوة خيبر وجد المسلمون صحائف متعددة من التوراة فجاء اليهود يطلبونها فأمر (ص) بدفعها إليهم.

وقد سمح (ص) لبني النضير بعد غزوة أحد، بحمل صحفهم عند جلائهم عن المدينة المنورة، حتى قال أحد علماء الغرب[٤٢] في هذا المجال: لم يتعرض . النبي (ص) . بسوء لصحفهم المقدسة، ويذكرون إزاء ذلك ما فعله الرومان حيث تغلبوا

---

(٤١) سورة النساء: ٧٧.

(٤٢) ولفنسون.

على أورشليم وفتحوها، إذ أحرقوا الكتب المقدسة وداسوها بأرجلهم، وما فعله المتعصبون من النصارى في حروب اليهود في الأندلس، حيث احرقوا أيضاً صحف التوراة [٤٣].

والتاريخ خير شاهد لوفاء رسول الله (ص) لعهود اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام حتى دفع دية من قتل منهم خطأ، وعفوه عن كل معتد مسيء منهم جاءه تائباً، وأنه (ص) كان يشيع جنائزهم، ويحضر ولائمهم، ويعود مرضاهم، ويقترض منهم حتى رحيله(ص) عن الدنيا، مع إنه كان في الصحابة من يقرض رسول الله(ص) بل ويؤثره على نفسه.

قال بعض علماء الغرب[٤٤] عن المعاهدات التي وقعها المسلمون مع الذميين: منحت تلك الشعوب حرية الاحتفاظ بأديانها القديمة وتقاليدها القديمة، شرط أن يدفع الذين لايرضون الإسلام ديناً ضريبة عادلة إلى الحكومة تعرف بالجزية، لقد كانت هذه الضريبة أخف من الضرائب التي كان المسلمون ملزمين بدفعها إلى حكوماتهم نفسها، ومقابل ذلك، منح أولئك الرعايا (المعروفون بأهل الذمة) حماية لا تختلف في شيء عن تلك التي تمتعت بها الجماعة الإسلامية نفسها، وكانوا يقولون: (ادفعوا جزية يسيرة نسبغ عليكم حماية كاملة، أو اتخذوا الإسلام ديناً، وادخلوا في ملتنا فتمتعوا بالحقوق نفسها التي نتمتع بها نحن) [٤٥].

ويقول (غوستاف لوبون)[٤٦]: جزية زهيدة تقل عما كانت تدفعه إلى سادتها

---

(٤٣) التسامح في الإسلام: ص١٤ نقلاً عن تاريخ اليهود ببلاد العرب: ص١٧٠.

(٤٤) الكلام للمستشرقة الإيطالية (لورا فيشيا فاغليري) وهي أستاذة اللغة العربية في جامعة نابولي، لها كتاب مترجم إلى العربية، عنوانه: (دفاع عن الإسلام).

(٤٥) التسامح في الإسلام: ص٢٤ نقلاً عن (دفاع عن الإسلام) ص:٣٢.

(٤٦) غوستاف لوبون (١٨٤١-١٩٣١) من فلاسفة علم الاجتماع الفرنسيين، من كتبه الهامة (حضارة العرب).

السابقين من الضرائب[٤٧].

وفي المقابل ترى غير المسلمين ماذا فعلوا بالمسلمين؟

مثلاً: لما سقطت حصون مدينة الجزائر ودخلت القوات الفرنسية في الخامس من تموز ١٨٣٠م المدينة محتلين، لم يراعوا البند الخاص من المعاهدة التي نصت على احترام الشعائر الدينية، وذلك حينما حوّلوا الفرنسيين المسجد الكبير إلى كتدرائية.

أجل لقد كان أول عمل قاموا به هو: هدم المساجد الأثرية الرائعة وتحويلها إلى كنائس، ووقف الجنرال روفيجو يشير إلى الفرنسيين باختيار مسجد من مساجد الجزائر ليصير كنيسة لهم، فأشاروا عليه بجامع (القشاوة)، وهو من أجمل مساجد البلاد وأروعها، وكان في المسجد أربعة آلاف مسلم، فانقض عليهم الفرنسيون وذبحوهم عن آخرهم، وهم يعتصمون ببيت من بيوت الله، وفي ١٨ كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٨٣٢، كان المسجد كتدرائية الجزائر، ولقد حولوا مساجد أخرى ـ غير هذا المسجد ـ إلى كنائس، مثل مسجد (القصبة) وهو من المساجد التي ترتبط بها ذكريات إسلامية مجيدة.

وقد شجعت الإدارة الفرنسية بناء المعابد اليهودية، والكنائس المسيحية، حتى صار في الجزائر ٣٢٧ كنيسة للمسيحيين و ٤٥ معبداً لليهود إلى جانب ١٦٦ مسجداً فقط للمسلمين [٤٨]، مع ان المسلمين كانوا هم أهل البلاد والأغلبية الساحقة من حيث العدد.

---

(٤٧) التسامح في الإسلام: ص٢٥ نقلاً من كتاب (حضارة العرب): ص ١٣٤.

(٤٨) التسامح: ص٢٩ نقلاً عن (الجزائر أرض المعارك) ص:٧٤.

٥

المستقبل للإسلام

لقد ذكرنا فيما سبق كلاماً حول كيفية إنقاذ المسلمين، والآن نريد أن نبحث حول كيفية إنقاذ العالم حتى غير الإسلامي منه؟ علماً بأن العالم أصبح يعيش اليوم الأزمات والمشاكل الكثيرة، منها:

مشكلة الاقتصاد:

حيث أصبح العالم اليوم يعاني من الطبقية البغيضة، فقلّة من الناس يمتلكون أكبر حصة من ثروات الأرض، بينما الأكثرية الباقية يمتلكون الأقل الباقي، حيث ملايين الفقراء والمعدمين الذين لا يملكون حتى قوت يومهم ويموتون جوعاً كل يوم بحسب الإحصاءات الرسمية.

مشكلة الأخلاق:

حيث اصبح العالم اليوم يقاسي من أزمة أخلاقية حادة، فثلّة من تجار الأسلحة ومولّدي التقنية العسكرية المدمرة، راحوا ينبهون ثروات العالم الثالث من الذهب الأسود وغيره، ويخلقون بينهم الحروب والصدامات الكاذبة، ليصنعوا لاسلحتهم سوقاً مربحة على حساب قتل الأبرياء، وترميل النساء، ويُتم البراعم والأطفال، ودمار الحرث والنسل، وإيجاد بحار من الدم والدموع.

مشكلة العقيدة:

حيث أصبح العالم اليوم يئن تحت وطأة الفراغ العقيدي، وهو أكبر داء وأعظم بلاء يمكن أن يصاب به البشر، إن العقيدة الصحيحة للروح والعقل كالطعام

والشراب للجسم والبدن، وكما أن فقدان الطعام والشراب يودي بحياة الإنسان المادية، فكذلك غياب العقيدة الصحيحة يقضي على حياة الإنسان المعنوية، فالفراغ العقيدي يعني: الموت المعنوي.

وقد جرّب العالم مرارة هذا الداء، وذاق شدة هذا البلاء، ولم يشفه ما وضعه المقنّنون من لائحة حقوق الإنسان، ومقررات مجلس الأمم وغير ذلك، لأنها قوانين وضعية، لا تستوعب ما جاء به الإسلام من قانون السماء الشامل، ومنهج الأنبياء الكامل، وحيث قد عجز العالم اليوم من القوانين الوضعية من ناحية، ومن الإلحاد من ناحية ثانية، ومن المادية من ناحية ثالثة، أخذ يتوجه إلى الدين، مما يحتم أن يكون المستقبل للدين، والإسلام بصورة خاصة[٤٩] حيث إن

---

(٤٩) وقد صرح بذلك بعض علماء الغرب أيضاً: يقول (فانسان مونتيه) أستاذ اللغة العربية والتاريخ الإسلامي بجامعة باريس: اخترت الإسلام لأنه دين الفطرة، اخترته ديناً ألقى به وجه ربي، كنت في (سان سير) وقد وقع بين يدي لأول مرة في حياتي ترجمة لمعاني القرآن، قام بها (أندريه دورير) سنة (١٩٤٧م) فأطلعت على رأي الإسلام بمسألة السيد المسيح، وعرفت أنه بشر أوحي إليه، ومن أسباب إسلامي تسامح الإسلام تجاه أبناء الأديان الأخرى وعلى العكس مما يقول (سوليناك): داء الجهاد العصبي المسيحي. انظر (التسامح في الإسلام): ص١٢٣.

لوي ماسنيون وهو مستشرق فرنسي كان يسمي الإسلام على الصعيد الاجتماعي: حكومة المساواة الإلهية أو الثيوقراطية المحبة للمساواة. انظر (التسامح في الإسلام): ص١٢٣.

ويقول المستشرق الألماني أولرش هيرمان: الإسلام دين جذاب جداً، وهو يعود ربما إلى وضوح الرسالة الإسلامية ولأسباب لا أعرفها، وإذا نظرنا إلى أفريقية، حيث تقوم الجماعات الإسلامية والمسيحية كل على حدة طبعاً بمجالات تستهدف تخليص الشعوب الإفريقية من الوثنية ، نجد الغلبة والنصر للإسلام، وهذا كما أسلفت قد يكون سببه وضوح الرسالة الإسلامية وكذلك جاذبية الرسالة الأخلاقية الإسلامية. انظر (التسامح في الإسلام): ص١٢٤.

ويقول غوستاف لوبون في كتابه (حضارة العرب): وساعد وضوح الإسلام وما أمر به من العدل والإحسان على انتشاره في العالم، وبتلك المزايا نفسر سبب اعتناق كثير من الشعوب النصرانية للإسلام كالمصريين الذين كانوا نصارى أيام حكم قياصرة القسطنطينية فأصبحوا مسلمين حين

الإسلام يعطي كل متطلبات الإنسان وفي أنظف إطار، فالمستقبل له، لكن يشترط أن يعرضه القائمون عليه عرضاً صحيحاً مناسباً للعصر الحاضر، والمراد بالمناسب للعصر الحاضر كون الحلول للمشاكل تناسب عصر الصناعة، إذ للدين الإسلامي كليات وقواعد عامة قابلة للتطبيق في كل عصر ومصر.

مثلاً: في الإسلام (الحرية).

وفيه: (انتخاب الحاكم بالاستفتاء العام).

وفيه: (الفقيه أو شورى الفقهاء[٥٠] الذي هو في قمة الحكم).

وفيه: (الاقتصاد).

وفيه: (المجتمع السليم).

وفيه: (خدمة الناس).

وفيه: (قاعدة لا ضرر).

وفيه: (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم).

وفيه: (الأرض لله ولمن عمرها).

وفيه: (قانون السبق إلى ما لم يسبق إليه أحد).

وفيه: (قانون التنافس نحو الخير).

وفيه: (قانون الأهم والمهم).

وفيه: (التعددية).

عرفوا أصول الإسلام، كما نفسر به السبب في عدم تنصر أية أمة بعد أن رضيت بالإسلام ديناً سواء أكانت هذه الأمة غالبة أم مغلوبة.

وتقول المستشرقة الإيطالية (لورافيشيا فاغليري) عن روعة انتشار الإسلام: أية قوة عجيبة تكمن في هذا الدين؟ أية قوة داخلية من قوى الإقناع تنصهر به؟ ومن أي غور سحيق من أغوار النفس الإنسانية ينتزع نداوة استجابة مزلزلة؟ انظر (التسامح في الإسلام): ص٦٧.

(٥٠) يرى الإمام الشيرازي الولاية لشورى الفقهاء المراجع مع تعددهم، انظر كتاب (الفقه: البيع) المجلد الرابع والخامس.

وفيه: (الأمة الواحدة).

وفيه: (الأخوة الإسلامية).

فاللازم:

أن تُنظم الحريات، بحيث يكون كل أحد حراً في جميع أموره باستثناء المحرم (إذ في المحرم إضرار نفسه وإضرار الآخرين).

وأن تجعل الأحزاب السياسية في إطار القوانين الإسلامية، مما لهم الحق الكامل في اختيار الحاكم المؤهل للحكم.

وأن تجعل شورى الفقهاء المراجع، ممن تقلدهم الأمة، رأس الحكم، حتى يديروا الأمور بأكثرية الآراء، ويكونوا هم السلطة العليا للدولة . حيث يكون تحت نظرهم وإشرافهم كل من السلطات الثلاث: التنفيذية والتشريعية (أي: التطبيقية) والقضائية ..

وأن يُعدّل قانون الاقتصاد والاجتماع، حتى لا يكون استغلال الإنسان للإنسان بالأسلوب الرأسمالي، أو الشيوعي، أو الاشتراكي، أو التوزيعي، وحتى يكون المجتمع سليماً في الأسرة والعائلة.

وأن يُعدل قانون ارتباط الأحزاب والمنظمات بعضها ببعض، وكذلك بالنسبة إلى سائر الأمور الاجتماعية من المعاملات وغيرها.

إلى غير ذلك من المناهج اللازمة، مثل كيفية التعامل مع الأقليات وحفظ حقوقهم المشروعة، وقانون الترابط والتعامل بين دولة الإسلام وبين سائر الدول.

وحينذاك، لا يكون استعمار بمختلف أشكاله: العسكري والفكري والثقافي والاقتصادي والسياسي، فلا قواعد ولا أحلاف في بلاد الإسلام، كما لا تسلط لعسكر المستعمر على بلاد الإسلام بالغزو، ولا تشتت، ولا فرقة، بل دولة واحدة

ذات ألف مليون مسلم[٥١].. ولا اتجاه فكري مستورد من بلاد الاستعمار .كما هو الحال، حيث إن شباب المسلمين الذين يذهبون إلى بلاد الأجانب يأتون بالأفكار والعادات غير الإسلامية في كيفية إدارة أمورهم الشخصية والاجتماعية والسياسية وغيرها . .

ولا تكون الثقافة في المدارس والمعاهد، والبث والإعلام، على وفق الثقافة الاستعمارية كآراء دارون، وماركوز، وماركس، وفرويد، وسارتر، ودركايم، وغيرهم..

ولا يكون الاقتصاد على نحو الرأسمالية الغربية أو الشيوعية الشرقية أو ما أخذ منهما من الألوان، بل اقتصاد إسلامي مما يجعل المال مقابل خمسة أشياء: (العمل، والفكر، والمواد، والشرائط، والعلاقات الاجتماعية) وحينئذ لا يكون استغلال من قبل الدولة للإنسان، كما في الشيوعية، ولا من الرأسمالي للإنسان، كما في الرأسمالية، وتكون سائر المعاملات طبق النظام الإسلامي العادل.

ولا تكون السياسة حسب رأي الشرق (الدكتاتور) ولا حسب رأي الغرب (المستعمر) والمتمثلة فيما يلي:

١: إنه يقنن القانون الوضعي مع عدم الإحاطة بمتطلبات الإنسان الروحية والجسمية، والمعنوية والمادية.

٢: إنه يحكّم رأس المال على الانتخابات بإعلامه وبجماعاته الضاغطة، وبغير ذلك.

٣: إنه يحذف دور الناس عن المجال المرتبط بهم، بعد انتخاب النائب أو انتخاب رئيس الجمهور، فإنهم لا يعبؤون بآراء المنتخبين بعد ذلك، في كثير من القضايا المصيرية.

ولذلك ذهب بعض علماء الاجتماع إلى بيان كيفية أخرى للانتخابات وهي: أن يجتمع الناس كل شهر مرة . مثلاً . في حلقات كخمسمائة مثلاً: ليدلوا بآرائهم

---

(٥١)علماً بأن آخر الإحصاءات تشير إلى أنه بلغت نفوس المسلمين المليارين.

في القضايا المهمة، بعد أن ينظّم أهم الأمور التي لها ارتباط في القضية جماعة من الحياديين، فيكون المجلس مقيداً بأخذ أكثرية هذه الآراء لا كيفما شاء المجلس بنفسه، ولا بأس بذلك إذا طوبق ما يوافق الصيغة الإسلامية فـ «الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها»(٥٢).

٤: انه لا يجعل للطفل حق الانتخاب (عكس الإسلام الذي يعطي حتى للأطفال حق الانتخاب ناهيك عن الرجال والنساء، فإذا شاء أولياء الأطفال انتخبوا نيابة عن أطفالهم، لان المنتخَب يتصرف في شأن الطفل أيضاً فيلزم أن يكون للطفل حق الصوت عبر وليه، فإذا شاء وليه جعل له صوتاً أيضاً، يؤديه هو بالوكالة عن الطفل).

وبذلك ترجع إلى الإنسان إنسانيته، وتصرف الأموال في مصارفها اللائقة، ويذهب القلق والاضطراب، ويأخذ الأمن والاطمئنان مكانه، ويكون بلد الإسلام أسوة عملية لسائر بلاد العالم، فيأخذون منه، كما أخذوا منه عند ظهور الإسلام، وينعدم الفقر والجهل، ويتقلص الإجرام والمرض، إلى أقصى حد ممكن، والله القادر المستعان.

---

(٥٢) بحار الأنوار: ج٢ ص١٠٥ ب١٤ ح٦٦.

التنظيم من الأصول الأساسية

إن مهمة إنقاذ المسلمين، بل مهمة إنقاذ العالم البشري، إلى رحمة الإسلام وعدله، مهمة كبيرة وصعبة، فلا بد من التهيؤ لها، ومن أهم مقدمات ذلك هو التنظيم.

فيلزم على رجال الدين والمتدينين أن ينظموا أنفسهم حتى يستوعبوا مختلف مجالات الحياة، فلا يجد الانحراف الرأسمالي أو الدكتاتوري الشيوعي أو ما أشبه سبيلاً، ليأخذ في التخريب، كما وجد الفكر الشيوعي والقومي والبعثي والوجودي، وما أشبه ذلك إلى قلوب الشباب منفذاً فخرب تخريباً لا مثيل له.

فاللازم تنظيم كل شيء دينياً ودنيوياً:

من الروضة إلى ما بعد الجامعة.

ومن الثكنة إلى ساحة الميدان.

ومن الزوجين إلى العائلة الكبيرة.

ومن الأعمال الفردية إلى المؤسسات الكبيرة.

وهكذا..

كما إن المهم تنظيم أمور النساء بحيث يقدرن على المشاركة في كل ميدان يصلح لهن مع حفظ الموازين الشرعية، سواء في السياسة (غير الإمارة والقضاء) أو الثقافة، أو الصناعة، أو التجارة، أو الزراعة، أو الإدارة، أو الوظيفة أو غيرها مع الالتزام الكامل بشؤون البيت وتربية الأطفال وما أشبه ذلك، فيكون لهن المجلات والجرائد اليومية الخاصة بهن، ويكون لهن المساجد والحسينيات والندوات الفكرية والمؤتمرات الثقافية وما أشبه.

ويجب أن يكون التنظيم الديني الدنيوي، غير ضار بالحريات المشروعة، لأن

الأصل في الإنسان الحرية، فالناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم، ثم تأخذ سائر الأمور بعد ذلك مجراها.

ولا يتوهم أن بين الأمرين تناقضاً، إذ من الممكن أن يكون جعل النظام على أساس التنافس الحر.

بالإضافة إلى جعل برامج خاصة للسمو الروحي مما يوجب العمل الدائب تلقائياً، بدون جبر وإكراه .

والمحفز الروحي، والمنافسة في تحصيل رضى الله، هو الذي أوجب تلك الانطلاقة الفريدة في تاريخ المسلمين أول ظهور الإسلام، ومن الممكن إعادة كل ذلك إذا وعى القائمون بالأمر كيفية العمل، وكانت القدرات موزعة بحيث لم يتمكن أحد من الدكتاتورية، والله المستعان.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

الفهرس

كلمة الناشر ٤

المقدمة..... ٧

١: عدم الوعي مشكلة الشعوب..... ٨

٢: الجرائم وكثرتها ١٣

من أسباب الجريمة..... ١٤

العنف جريمة ١٧

٣: الأنبياء وأوصياؤهم (ع) ساسة ربانيون ١٨

من وظائف رجل الدين..... ٢٠

٤: كيف يمكن إنقاذ المسلمين؟..... ٢٥

العفو والتسامح من أركان الإنقاذ..... ٢٦

٥: المستقبل للإسلام..... ٢٩

التنظيم من الأصول الأساسية..... ٣٥